Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فألبس الرثاء ثوب الفخر ، ومزج الفخر بالرثاء ، فى بكاء من استشهد من المسلمين ، ومن قتل من المشركين فى الحروب التى دارت بين الطرفين فى مطلع الإسلام . وكان محور هذا الرثاء ـ كما فرضه الموقف ـ تعداد المناقب، ووصف المثوى الأخير ومايلتظر الشهيد من جزاء .

بيد أننا نلاحظ فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم مزيدا من التفجع والتوجع لفقده ، إذا قورن برثاء غيره ، لكنا إذا وضعنا فى الاعتبار مكان الرسول من نفس المسلم لم نجد فى ذلك زيادة ولا مبالغة ، وإنما هو التصوير الصادق لما يحس به الشاعر من فداحة المصيبة ؛ فهى إذن أمور نسبية،لاتدرك أبعادها إلا بالنظر المدقق الفاحص.

ومن أبرز المراثى الجماعية ، وبث الأحزان المصائب العامة ماقاله أبو أسامة معاوية ابن رهير حليف بنى مخزوم وهو مشرك حين مر بهبيرة بن أبى وهب فرأى إعياءه من الحرب ومما أصاب قومه من الهزيمة فى غزوة بدر ، مصورا أساه وحزنه لما ألم بهم ، فاخرا بنفسه وقبيلته وشهوده الحرب :

ولما أن رأيت القوم حفوا ... وقد زالت نعامتهم لفر
وأن تركت سراة القوم صرعى ... كأن خيارهم أذباح عتر
وكانت جمعه وافت حماما ... ولقينا المنايا يوم بدر
وأبلغ إن بلغت المرء عنا ... (هبيرة) وهو ذو علم وقدر
بأنى إن دعيت إلى أفيد ... كررت ولم يضق بالكر صدرى

وهذا الأسود بن المطلب ـ وكان قد أصيب له فى بدر ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحارث بن زمعة ـ يسمع نائحة من الليل فيسأل غلامه عمن تبكى، فأخبره بأنها تبكى بعيرا لها ضل ، فانفجر ساخطا غاضبا نائحا يقول :

أتبكى أن يضل لها بعير ... ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
وبكى إن بكيت على عقيل ... وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمى جميعا ... وما لأبى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا

بينما يقف عبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى شهداء بدر ، فيسمى أبطالهم، ويشيد بمواقفهم وحسن بلائهم ، وإقدامهم على الموت فى غير خوف ولا تردد :